بسم الله الرحمن الرحيم

قصيدة دموعي تفيض

قصيدة لطيفة لمؤلف هذه الرسالة في بيان مفاسد الزمان وضرورة رجل يهدي إلى طرق الرحمن ونعتِ سيد الأنبياء وفخر الإنس والجان صلى الله عليه وسلم (من كتاب حمامة البشرى)

دموعي تفيض بذكرِ فتن أنظُرُ ... وإني أرى فتنًا كقطرٍ يمطُرُ

تهبّ رياح عاصفات مبيدةٌ ... وقلَّ صلاحُ الناس والغيُّ يكثرُ

وقد زُلزلت أرضُ الهدى زلزالها ... وقد كُدّرتْ عين التقى وتُكدَّرُ

وما كان صَرْخٌ يَصْعَدَنّ إلى العُلى ... وما مِن دعاء يُسمَعنَّ و يُنصَرُ

فلما طغى الفسق المبيد بسيله ... تمنّيتُ لو كان الوباءُ المُتَبِّرُ

فإن هلاك الناس عند أولي النهى ... أحبُّ وأولى من ضلال يُخسِّرُ

على أجدُرِ الإسلام نزلت حوادثٌ ... وذاك بسيئات تُذاع وتُنشرُ

وفي كل طرف نارُ فتن تأجّجت وفي كل ذنب قد تراءى التقعُّرُ

ومن كل جهة كلُّ ذئب ونمرة يعيـث بوثب والعقارب تأبُرُ

وعينُ هدايات الكتاب تكدرتْ بها العِيْنُ والآرام يمشي ويـعبُرُ

تراءت غواياتٌ كريح عاصفٍ وأرخى سدولَ الغيِّ ليلٌ مُكدِّرُ

وللدين أطلالٌ أراها كلاهف ودمعي بذكر قصوره يتـحدّرُ

أرى العصر من نوم البطالة نائما وكل جَهول في الهوى يتبخترُ

وليلا كعين الظبي غابت نجومه وداءً لَشِدَّتُه عن الـموت تُخبِرُ

نسوا نَهْجَ دين الله خبثًا وغفلة وأفعالهم بغـيٌ وفسق ومَيسِرُ

وما همُّهم إلا لـحظِّ نفوسهم وما جهدهم إلا لعيشٍ يوفَّرُ

وقد ضيّعـوا بالجهل لبنًا سائغا ولم يبق في الأقـداح إلا ماضِرُ

وركب المنايا قد دناهم بسيفهم وهم خيلُ شحٍّ ما دناهم تحسّرُ

تصيدُهم الدنيا بعـظمة مكرها فيا عجبًا منها ومـما تـمكُرُ

تذكِّر إفلاسا وجوعا وفـاقـة فـتدعو إلى الآثام مـما تذكِّرُ

تريد لتُهلِك في التـغافل أهلها وقد عقرتْ همَمَ اللئام وتعقِرُ

وألهتْ عن الدين القويم قلوبَهم فمالوا إلى لـمعاتها وتخيّـروا

تقود إلى نار اللظى وجنـاتُها ولـمعاتُها تصبي القلوب وتختِرُ

وتدعو إليها كلَّ من كان هالكا فكلٌّ من الأحداث يدنو ويخطِرُ

تـميس كبِكرٍ في نقاب المكائدِ وتُبـدي وميضًا كاذبا وتزوِّرُ

ودقّتْ مكائدها فلم يُدْرَ سرُّها لـما نسجتْها من فنون تكوِّرُ

وتبدو كتُرْسٍ في زمان بكيدها وفي ساعة أخرى حُسامٌ مشهَّرُ

وعين لهـا تصبي الورى فـتّانة ولقتلِ أهل الفسق كَشْح مُخصَّرُ

عجبتُ لمنظرِ ذاتِ شيبٍ عجوزةٍ أنيقٍ لـعين الناظرين وأزهَـرُ

لزِمتُ اصطبارًا إذ رأيتُ جمالها فقلتُ إلهي أنت كهفي ومأْزَرُ

فصَيَّرَهـا ربي لنفسي سَرِيَّـةً كجـاريةٍ تُلقَى بطَوْعٍ وتُهجَرُ

وذلك فضلٌ من كريم ومحسن ويعطي المهيمن من يشاء ويحجُرُ

وقد ضاقت الدنيا على عشّاقها ويبغونها عشقًا وحـبًّا فتُدْبِرُ

تزاحمت الطلاب حول لحومها كمثل كلاب والـمنايا تسخرُ

وإنّ هواها رأسُ كلّ خطـيئةٍ فخَفْ حُبَّها يا أيها الـمتبصّرُ

وقد مضغتْ أنيابُها كلَّ طالبٍ وأنت أَثارتُهم فسوف تُكسَّرُ

على كل قلب قد أحاط ظلامها سوى قلب مسعودٍ حماه الميسِّرُ

إذا ما رأيتُ المسلمين كـلاَبها ففاضتْ دموع العين والقلبُ يضجَرُ

على فسقِهم لما اطّلعتُ وكسلِهم بكيتُ ولم أصبِرْ ولا أتصبّرُ

أكبّوا على الدنيا ومالوا إلى الهوى وقد حلَّ بيتَ الدين ذئبٌ مدمِّرُ

أرى ظلماتٍ ليتَني مِتُّ قبلها وذقتُ كؤوس الموت لولا أُنوَّرُ

فساد كـطوفان مبـيد وإنني أراه كموج البحر أو هو أكثَرُ

أرى كلَّ مفتون على الموت مُشرِفًا وكل ضعيف لا محالة يعـثُرُ

فأنقضَ ظهري ضعفُهم ووبالهم ومِن دون ربي مَن يداوي وينصرُ؟

فيا ربِّ أَصْلِحْ حالَ أُمّةَ سيدي وعندك هَيِّـنٌ عندنا متـعسِّرُ

وليس بِراقٍ قبل أن تأخُذَنْ يدًا وليس بِساقٍ قبل كـأسٍ تُقدِّرُ

وقد نُشِرتْ ذرّاتُنا من مصائبٍ ومِـتْنا فلا تـذكُرْ ذُنوبًا تنظُرُ

ولا تُخرِجَنْ سيفًا طويلا لقتلِنا وتُبْ وَاعْفُوَنْ يا ربِّ قوم صُغِّرُوا

وإنْ تُـهلِكْنا يا ربَّنا بذنـوبنا فنفنى بموت الخزي والخصمُ يَبطَرُ

ولا أبرَحُ المضمارَ حتى تعـينني ولا بُدَّ لي أن أُهْلَكَنْ أو أُظفَّرُ

وإني أرى أن الـذنوب كبيرة وأعرف معه أن فضلك أكـبَرُ

إلهي أَغِثْنا واسْقِنا واحْمِ عِرْضَنا بسلطانك الأجلى وإنك أقدَرُ

يئِسنا من المخلوق وانقطع الرجا وجئناك يا مَن يعلَمَنْ ما يُضمَرُ

تعاليتَ يا مَن لا تُحاطُ كمالُهُ لك الحمد حمدًا ليس يُحصى ويُحصَرُ

تَصدَّقْ بألطاف كما أنت أهلُها وأَدْرِكْ عبادًا لك كما أنت أقدَرُ

فخُذْ بيدي يا ربِّ في كل موطنٍ وأَيِّدْ غريبًا يُلْعَـنَـنْ ويُكـفَّرُ

أتيتُك مسكينًا وعونُك أعـظَمُ وجئتُك عطشانًا وبحرُك أَزخَرُ

قد اندرستْ آثارُ دينِ مـحمدٍ فأشكو إليك وأنتَ تبني وتَعمُرُ

أرى كل يوم فتنةً قد مُـدِّدتْ ومِتْنا وأمواتُ الأعـادي بُعْثِروا

وقد أزمعوا أن يزعجوا سبلَ الهدى وكم من أراذلَ من شقاهم تَنصَّرُوا

أرى كل محجوب لدنياه باكيا فمن ذا الذي يبكي لدينٍ يُحقَّرُ

فيا ناصِرَ الإسلام يا ربَّ أحمدا أَغِـثْـني بتأييد فإني مُـدْخَرُ

أيا ربّ مَن أعطيـتَه كل درجةٍ وشأنًا برؤيته الـورى تـتحيرُ

وما زلتَ ذا لطف وعطف ورحمةٍ وما كنتُ محروما وكنتُ أُوقَّرُ

فـلا تجعَلَنِّي مضغـةً لمحـاربي وأنتَ وحيدي كلّ خطأ تَغفِرُ

وأنت المهيمنُ مرجعُ الخَلق كلِّهم وأنتَ الحفيظ تعينني وتُعـزِّرُ

وما غيرُ بابِ الرب إلا مذلّـة وما غيرُ نورِ الرب إلا تكَـدُّرُ

وعُلِّمتُ منك حقائق الدين والهدى وتهدي بفضلك من ترى وتُنوِّرُ

إذا ما بدا لي أن علميَ غامضٌ فأيقنتُ أني عن قريب سأُكفَرُ

فسلَّمتُ بعد الاهتداء بفـضله سلامَ الوداع على الذي يستنكِرُ

وإن الهداية يرجِعَنْ نحو طـالبٍ ومَن غضَّ عينيْ رؤيةٍ أين يُبصِرُ؟

ووالله لا يشقى الذي هو يطلب ومَن جدَّ في تحصيل هديٍ سيُنصَرُ

ومن كان أكبر همّه جلب لـذّةٍ وحظٍّ من الدنيا فكيف يُطهَّرُ

أَمُكْفِرِ! مهلاً بعضَ هذا التحكم وخَفْ قَهْرَ ربٍّ قال ﴿لا تقفُ﴾ فاحذروا

وإن ضياء الدين قد حان وقته فتعرف شجرتنا بـما هي تُثمرُ

ويا حسراتٍ موبقاتٍ على الذي يكذّبني مِن غير علم ويُكْـفِرُ

وما جئتُ قومي من ديار بعيدة وقـد عرفوني قبله ثم أنكروا

وأعرضَ عني كلُّ من كان صاحبي وأُفرِدتُ إفرادَ الذي هو يُقبَرُ

تـمنَّيتُ أن يخفى تطاوُلُ قولهم وهل يختفي ما في المجالس يُذكَرُ؟

ويعوي عدوي مثل ذئب مِن طوًى وليس له علم بـما هو أذكرُ

وما رُزِقتْ عيناه مِن نيِّر العُلى فأخلَدَ نحو الأرض جهلا ويُنكِرُ

أولئك قوم ضيّعـوا أَمْرَ دينهم وخانوا العهود وزيّنوا ما زوَّروا

ويعلم ربي سرَّ قلبـي وسرَّهم وكلّ خفـيّ عنـده متحضِّرُ

ولو كنتُ مردودَ المليك لضَرَّني عـداوةُ قومٍ كذّبوني وكفّروا

وهـمّوا بتكفيري وقاموا للعنتي ولم يعلموا أن المهيـمن ينظُرُ

إذا قيل إنك مرسَلٌ خِلْتُ أنني دُعِيتُ إلى أمر على الخَلْق يَعسِرُ

وكنتُ على نور فزاغوا من العَمى وهل يستوي الأعمى ورجلٌ يَبصُرُ

وما ديننا إلا هدايةُ أحـمـدا فياليتَ شعري ما يظن المكفِّرُ

وقد كنتُ أنسى كلَّ جَوْرِ مُعيِّري ولكـنـه جـور كبير مكوَّرُ

وكم من دلائلَ قد كتبتُ لطالبٍ يفكّر فـيها لَـوْذَعِيٌّ مُـدبِّرُ

ألا أيـها الـمتكبـر المتشدّدُ تريد هـواني والـكريمُ يُعزِّرُ

وإذ قلتُ إني مسلم قلتَ كافر فأين التُّقى يا أيها الـمتـهوِّرُ

وبعد بياني أين تـذهب منكرًا أتعلم يا مسكين ما هو مُضْمَرُ

فلا تتجرعْ أيها الضال في الهوى بأيديك كأس الموت ما لك تُخطِرُ

وكلُّ سعيد يعرف الحقَّ قـلبُهُ وأما الشقيّ فيعلَمَنْ حين يخسَرُ

وإني تركتُ النفس والخَلق والهوى فلا السبُّ يؤذيني ولا المدحُ يُبطِرُ

وكم من عدوٍّ بعدما أكملَ الأذى أتاني فلم أَصعَرْ وما كنتُ أصعَرُ

أحِـنُّ إلى من لا يـحِنُّ محبّةً وأدعـو لمن يدعو عليّ ويهدَرُ

خُذِ الرفقَ إن الرفق رأس المحاسنِ ويكسِر ربي رأس من يتكـبّرُ

عجبتُ لأعمى لا يداوي عيونَه ومِن كل ذي الأبصار يلوي ويسخَرُ

أتنسى نجاساتٍ رضيتَ بأكلِها وتذُمّ ما هو مستطـاب وأطهَرُ

تُسَمِّينِ جهلاً يا ابنَ آوى ثعلبًا ومـا أنا إلا الليث لـو تتفكّرُ

تفيض عيون العـارفين بقولنا ولكن غبيٌّ يضـحكَنْ ويحقِّرُ

تُعـيِّرني ظلمًا وكبرًا ونـخوةً وهيهاتَ، أهلُ الحق كيف يُعيَّرُ

صبرنا على ظلم الخلائق كلها وتُبْـنا إلى الرب الذي هو أقدَرُ

تركْنا القِلى واللهُ كافٍ لصادقٍ وإن الصـدوق بفضله يُتخَـيَّرُ

وليس الفتى من يقتل الناسَ سيفُه ولكنـه من يُظلَمَـنّ ويصبِرُ

أرى الظلمَ يبقى في الخراطيم وَسْمُه وأما علامات الأذى فتَـغـيَّرُ

أَتُكْفِرُني يا أيها المستعـجـلُ وأيّ عـلاماتٍ ترى إذ تُكفِّرُ

وإن إمامـي سيد الرسل أحمدُ رضيناه متـبوعا وربّيَ ينـظُرُ

ولا شك أن محمدا شمس الهدى إلـيه رغِبْـنا مؤمنين فنشكُرُ

له درجات فوق كـل مدارجٍ له لـمعـاتٌ لا يليـها تصوُّرُ

أَبَعْدَ نبيِّ الله شـيءٌ يـرُوقني أبعـدَ رسول الله وجـهٌ مُنوَّرُ

عليك سلامُ الله يا مَرْجَعَ الورى لكل ظـلامٍ نورُ وجهـك نيِّرُ

ويـحمدك الله الوحيد وجندُه ويُثني عليك الصبحُ إذ هو يَجشُرُ

مدحتُ إمـامَ الأنبيـاء وإنـه لأرفَعُ مِن مدحي وأعلى وأكبرُ

دَعُوا كلَّ فخر للنبي مـحـمد أمامَ جلالةِ شأنه الشمسُ أحقَرُ

وصلُّوا عليه وسلِّموا أيها الورى ودَرُوا له طُرقَ التشاجر تُؤْجَروا

ووالله إنـي قد تبِعتُ محمدًا وفي كـل آن مِن سناه أُنوَّرُ

وفَوَّضَني ربي إلى روضِ فيضه وإني به أجـنِي الجَنى وأُنضَّرُ

ولِـدِينه فـي جَذْرِ قلبيَ لوعةٌ وإن بـيانـي عن جنانيَ يُخبِرُ

ورثتُ علوم المصطفى فأخذتُها وكيـف أردّ عطاء ربي وأفجُرُ

وكيف وللإسلام قمتُ صبابةً وأبـكي لـه ليلا نهارا وأضجَرُ

وعندي دموع قد طلَعْنَ المآقِيا وعنـدي صراخٌ مثلُ نارٍ مُسَعَّرُ

تضوّعَ إيماني كـمسكٍ خالصٍ وقلبي من التوحيد بيتٌ مُعطَّرُ

وفي كل آن يأتينْ مِن خالـقي غـذائي نَميرُ الماء لا يتغيَّرُ

تضيء الظلامَ معارفي عند منطقي وقولي بفـضل الله دُرٌّ مُـنوَّرُ

إلى منطـقي يرنو الفهيم تعشقًا ويُزعِج نطقي كلَّ وهمٍ ويَجدُرُ

سنا برقِ إلـهامي ينيـر لياليا وكشفي كصبح ليس فيه تكدُّرُ

وإن كلامي مثل سيف قاطـع وإن بيـاني في الصخور يؤثِّرُ

حفرتُ جبال النفس من قوة العلى فصار فـؤادي مثل نهر يُفجَّرُ

وأَدْعِيَتي عند الوَغى تقتُل العدا فـطوبى لقـلبٍ يتّقيها ويحذَرُ

وآذاني قـومـي بسبٍّ ولعنةٍ وكم من لسان لا يضاهيه خنجرُ

إذا مـا تحامتْني مشاهير ملتي ... فقلتُ اخْسَأوا إن الخفايا ستَظهَرُ

فريق من الإخوان لا ينكرونني ... وحزب يكذّب كل قولي ويزجُرُ

وقد زاحموا في كـل أمر أردْتُه ... وكـلٌّ يـخوِّفني و ربي يُبشِّرُ

فأقسمتُ بالله الذي جلَّ شأنهُ ... على أنه يُخزي عدوي ويَشزِرُ

وما أنا عن عون المُعين بـمُبْعَدٍ ... إذا اللـيل واراني فنُورٌ يُـنوِّرُ

وقد قادني ربي إلى الرشد والهدى ... ووقَّـرني مَـن عنـده فأُوَقَّرُ

وإن كريمي يُطلِق الكفَّ بالندى ... ولي مِن عطاء الرب رزقٌ يُوفَّرُ

ولا زال مـمدودا عليَّ ظلالُهُ ... ونعـماؤه كثرتْ عليَّ وتكثُرُ

أكان لكم عجبًا ببعثِ مـجدِّدٍ ... هلمَّ انْظُروا فتنَ الزمان وفَكِّروا

أمامك يا مغرورُ فـتـنٌ محيطة ... وأنت تسبّ المـؤمنين وتَـهجُرُ

فهذا على الإسلام يوم المصائبِ ... يُكفَّرُ مثلي والرياضُ حَبَوكَرُ

وللكفر آثار ولـلـدين مثلها ... فقُوموا لتفتيش العلامات وانظروا

أتحسب أن الله يُـخلف وَعْدَهُ ... أتـنسى المواعيد التي هي أظهَرُ

ويأتيك وعدُ الله من حيث لا ترى ... فـتعـرفه عيـنٌ تَحِدُّ وتُبصِرُ

وقد علِم الأعـداء أني مـؤيَّدٌ ولكنهم من حقدهم قد أنكروا

ألا أيها الإخوان بَشُّوا وأَبشِروا هنيًّا لكم عيدٌ جـديد أكـبرُ

وليس لعَضْبِ الحق في الدهر كاسرٌ وما يضعون من الحديد فيُكسَرُ

وهـل جائز سبُّ المؤيَّد بعدما أتتْ آيـةُ المولى وظهَر المُضمَرُ

وفي يد ربـي كلُّ عزّ وسؤدَدٍ وعـزيزه مِن كيدكم لا يُحَقَّرُ

فمن ذا يعاديني وربي يـحبّني ومـن ذا يُراديـني وربي مُعزِّرُ

لنا كـل يوم نصرةٌ بعد نصرة ويأتي الحـبيب مقامَنا ويبشِّرُ

وما أنا ممن يمنع السيفُ قصدَه فكيف يخوِّفـني بشتمٍ مُكفِّرُ

يسبّ ويعلم أنه يترك التُّـقى على مثـله الوُعَّاظِ يبكي المنبرُ

وما إنْ رأينا وَعْظَـه غيرَ فتنةٍ وما زالت الشحناء تنمو وتكثُرُ

وكـفّـرَني حـتى ظنَـنَّا أنه سيصلَى بحبّ الكُفر نارًا يُسعِّرُ

عجبتُ له لا يتركـنَّ شروره ودَكَّرَه مِن كل نصـحٍ مُذكِّرُ

ومِن عـجبِ الأيامِ أنيَ كافر بأعيـنِ رجلٍ حاسدٍ بل أكفَرُ

وكيف أخاف الحاسدين وسبَّهم ويرحـمني ربي ويؤوي وينصرُ

أُحِبُّ مـصائبَ سبلِ ربي وإنها لأطيبُ لي مِن كل عيش وأطهَرُ

أيا أيها الألْوَى كسَبُعٍ تغيُّـظًا فستعـلَمنْ في أي شكل تُحشَرُ

فلا تقفُ ما لا تعلمَـنْ أسراره وكم من علوم الحق تخفى وتستُرُ

وجهلُك أعجَبَني وطولُ امتداده وإن الفـتى بعد الجهالة يشعُرُ

أتُقـبِرُ حيًّا مثلَ ميتٍ خيانةً ويعلـم ربي كلَّ ما أنت تستُرُ

إلامَ فسادُ القلب يا تاركَ الهدى إلامَ إلى سـبل الشقاوة تَسفُرُ

ووالله إني مؤمن غيـر كـافر وأين التُّقى لو كان مثليَ يفجُرُ

فيا سالِكِي سبلِ الشياطين اتقوا قديرا عليما واحذَروا وتذكَّرُوا

وطوبى لإنسان تيقّظَ وانتـهى وخاف يد المولى وسيفًا يُثَعْجِرُ

ووالله إني جئتً منه مـجدِّدًا بوقتٍ أضلَّ الناسَ غُولٌ مُسخِّرُ

وعلّمـني ربي علـومَ كتـابه وأُعطِيتُ مما كان يُخفى ويُستَرُ

وأسرار قـرآنٍ مـجيدٍ تبيّنتْ علـيّ ويـسّرَ لي عليمٌ مُيسِّرُ

كأن العـذارى بالوجوه المنيرةِ خرجنَ من الكهف الذي هو مُقعَرُ

ألا إن الأيام رجعتْ إلى الهدى هنيًّا لكم بعثي فبَشُّوا وأَبْشِروا

وقد اصطـفاني خالقي وأعزَّني وأيَّدني واختارني فتدبَّروا

ووالله ما أمري عليّ بـغُـمّةٍ وإني لأعـرفُ نورَه لا أُنكِرُ

إذا قلَّ دينُ المرء قلَّ اتـقـاؤُه ويسعى إلى طرق الشقا ويزوِّرُ

ومَن ظنَّ ظنَّ السَّوء بُخلاً فقد هوى وكلّ حَسود عـند ظنٍّ يُتبَّرُ

ولا يعلمَنْ أن المنايا قـريـبةٌ إذا ما يجيء الوقت فالموت يحضُرُ

وهل نافعٌ وِرْدُ التندُّمِ بـعدما دنا وقـتُ قارعةٍ وجاء المقَدَّرُ

ألا أيها الناس اذكروا وقت موتكم فـلا تُلْهِكم غولٌ خبيث مخسِّرُ

وقد ذابت الصَفْواء مِن بيتِ عمرِكم ومـا بقِي إلا جمرةٌ أو أصغَرُ

ومِسْحُ الحِمام سيحمِلَنْك على المطا وأنت بأمـوال وخيل تفـخَرُ

ألا ليس غير الله شـيء مُدَوَّمٌ وكلُّ جليسٍ ما خلا اللهَ يهجُرُ

تَذَكَّرْ دمـاءَ العارفين بسبلهِ ألم يأن أن تخشى، أأنت محرَّرُ؟

وإن الـمنايا سابـحاتٌ قويّةٌ أثرنَ غـبارًا عند حُكمٍ يصدرُ

وآخر دعوانا أن الـحمد للذي هدانا مناهجَ دينِ حزبٍ طُهِّروا